

من جماليات الخطاب في الدعاء القرآني
-دراسة بلاغية في أسلوب الاستفهام-

**One of the aesthetics of discourse in Quranic supplication
A rhetorical study in the interrogative style**

مزرق حسانة¹

¹ كلية العلوم الإسلامية، خروبة، الجزائر العاصمة.

hassana.mez@gmail.com

تاريخ الاستلام: 2023/07/15 تاريخ القبول: 2024/01/05 تاريخ النشر: 2024/01/12

ملخص:

يعد الدعاء القرآني ذا بناء لغوي عجيب، و أسلوب بياني بديع، يُنْثَى عن سموه ويشير إلى إعجازه، لذا كان هدف الورقة البحثية اختيار أسلوب الاستفهام في الأدعية القرآنية للدلالة على قيمة بلاغة هذا النص من جهة وروعة الأسلوب وجودته وجمال توظيفه من جهة أخرى.

وسلكت المنهج الوصفي التحليلي، وأردتها أن تكون دراسة تذوقية جمالية تُشيد بإعجاز البيان القرآني، وتبين عن مقامه الحقيقي.

وتوصلت إلى أن الدعاء القرآني يكمن جماله البلاغي في إبراز الصورة وتقريرها في النفس، وترسيخها في الذهن والتلذذ بوقعها على السمع باستخدام أسلوب الاستفهام في دقة متناهية وبلاغة راقية وصنعة بيانية معجزة.

كلمات مفتاحية: الاستفهام، الخطاب القرآني، الدعاء، البلاغة، الإعجاز.

Abstract: The Qur'anic supplication has a strange linguistic structure, and a wonderful graphic style, that informs about His Highness and indicates its miraculousness, so the goal of the research paper was to choose the interrogative style in the Qur'anic supplications to indicate the value of the eloquence of

this text on the one hand and the splendor of the style, its quality and the beauty of its employment on the other hand.

I followed the descriptive analytical approach, and I wanted it to be an aesthetically appreciative study that praises the miraculousness of the Qur'anic statement, and reveals its true position.

And I concluded that the Qur'anic supplication lies in its rhetorical beauty in highlighting the image and its determination in the soul, and its consolidation in the mind and the enjoyment of its impact on the hearing, using the interrogative method in extreme accuracy, elegant rhetoric, and miraculous graphic workmanship.

Keywords: interrogative, Quranic discourse, supplication, rhetoric, miracle

*المؤلف المرسل: مزرق حسانة

1. مقدمة

الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ ذَا كُلُّهُ قَدَرٌ رَضِيتُ بِاللَّهِ رَبًّا وَاحِدًا صَمَدًا، الْحَمْدُ لِلَّهِ آتَانِي
الْهِدَايَةَ وَالْإِيمَانَ وَالْيَقِينَ إِخْسَانًا وَإِجْمَالًا، الْحَمْدُ لِلَّهِ بَانَ الْحَقُّ وَاتَّضَحَا وَكُلُّ مَنْ
قَالَ قَوْلًا كَانَ قَدْ نَبَحَا، الْحَمْدُ لِلَّهِ حَمْدًا دَائِمًا أَبَدًا أَعْطَانِي الدَّهْرُ مَا لَمْ يُعْطِهِ
أَحَدًا، فَخَيْرُ مَا اسْتَفْتَحَ الْعِبَادُ بِهِ حَمْدَ إِلَهِ رَبِّ السَّمَاءِ، وَصَلُّوا عَلَى النَّبِيِّ أَبِي
الْقَاسِمِ ذِي الثُّورِ خَاتَمِ الْأَنْبِيَاءِ وَبَعْدُ:

يعد القرآن الكتاب الذي أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ
[هود: 1]، أسلوب بياني معجز وبناء لغوي محكم، كلمات وألفاظ متألّفة، وجمل
وتراكيب متلائمة، كل شيء فيه حسن التأليف، دقيق التنسيق، فقد تشرفت
اللغة العربية بنزوله بلسانها، فكان النص القرآني محطة لاستنباط الدقائق
الفنية، والأسرار البلاغية، وكشف اللثام عن انسجام تراكيبه وتلاؤم نظمته.

ومن هنا يمكننا طرح الإشكال التالي: ماهي دواعي الاستفهام في الأدعية القرآنية ودقائق نظمها في الجملة الدعائية؟

ولما قرأت فيمن كتبوا في إظهار جماليات أسلوب الدعاء من خصائص بلاغية ونكت بيانية وجماليات تصويرية تأثرت بها وأحببت أن أنهج المنهج نفسه في إجلال جمال الدعاء القرآني من خلال أسلوب الاستفهام وبعده البلاغي.

ومن هذا المنطلق لزم في هذه الورقة البحثية تبين الجانب البلاغي لأسلوب الاستفهام في الدعاء القرآني الذي قامت بتصويره كتب التفاسير والبلاغة ونحوها، والهدف منه بيان أهمية الدعاء القرآني ودوره في إرساء معالم الجمال البلاغي في النفس الإنسانية وتوجيهها من خلاله فيكون بمثابة زاد بلاغي وشرعي.

وقد اتبعنا منهج الوصف التحليلي أداة لبيان جمال أسلوب الاستفهام في الأدعية القرآنية على المستوى البلاغي وبيان قيمتها وأهميتها من خلال محاور رئيسية هي: حقيقة الاستفهام ودواعيه في الجملة الدعائية وأسرار نظمها.

2. المبحث الأول: مفاهيم نظرية ومقدمات تعريفية

1.2 المطلب الأول: الخطاب القرآني بين الجمال والإعجاز

أولاً: تعريف الخطاب القرآني وجماليته

1-الخطاب في اللغة: مصدر "خطب" وهو الكلام بين اثنين إذ يُقال: خاطبه يخاطبه خطاباً، والخطبة من ذلك، وفي النكاح الطلب أن يزوج، قال الله تعالى: {وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا عَرَّضْتُمْ بِهِ مِنْ خِطْبَةِ النِّسَاءِ} [البقرة: 235]، والخطبة: الكلام المخطوب به. (ابن فارس، 1979، 198/2).

2-وفي الاصطلاح: هو مجموعة متناسقة من الجمل والأقوال تحمل في سياقها معلومات تهم المرسل إليه، فهو فعل كلامي يهدف إلى التأثير على المتلقي. (محمد بوهند، 2016، ص33).

3-تعريف الخطاب القرآني: هو خطاب رباني صادر من المولى تعالى المنزل على نبيه الكريم محمد P المتعبد بتلاوته، المعجز في مبانيه ومعانيه، المحفوظ من التحريف، الصالح لكل زمان ومكان.(محمد بوهند، 2016، ص34).

4- الجمالية في الخطاب القرآني: إن الجمال من أهم ظواهر الإبداع الفني في القرآن، حيث يمنح القدرة على التأثير الوجداني والسلوكي، فقد تكمن جماليته في دقة نظمه وتناسقه البديع، أو جمال الكلمات المركبة لهذا النظم وحسن انتقائها، أو في التنوع العجيب في أنماط النص القرآني من خلال أغراضه المختلفة، ومعانيه البديعة، وحكمه الكثيرة، وفوائده الغزيرة وتناسبه المحكم وتشابهه المبدع.

فالجمال القرآني تكمن عظمته في أثره البالغ في النفس فكل كلمة لها وقعها الخاص في نفس السامع، وكل كلمة مجتمعة في عبارة تصور المعاني في لوحة فنية متناسقة فيتشكل من خلال ذلك المشهد القرآني الكامل الذي هو منبع السحر ليخاطب العقل ويهز الوجدان، فهذا هو جمال القرآن الذي اختص به فهو كتاب البيان المعجز الذي لا تنقضي عجائبه.(محمد بوهند، 2016، ص/37-49).

ثانيا: الإعجاز القرآني مفهومه ومظاهره

1-الإعجاز لغة: من العجز يَدُلُّ أحدهما على الضَّعْفِ، وَالْآخَرُ عَلَى مُؤَخَّرِ الشَّيْءِ، فقولنا: عَجَزَ عن الشَّيْءِ يَعْجِزُ عَجْزًا، فَهُوَ عَاجِزٌ، أي: ضَعِيفٌ وَقَاصِرٌ، وَقَوْلُهُمْ: إِنَّ الْعَجْزَ نَقِيضُ الْحَزْمِ فَمِنْ هَذَا؛لأنه يَضَعُفُ رَأْيُهُ.(ابن فارس، 1979، 232/4)، ومنه المعجزة، وهي أمر خارق للعادة مقرون بالتحدي سالم عن المعارضة.

2-والإعجاز اصطلاحا: هو ضعف القدرة الإنسانية في محاولة المعجزة ومزاوتها، على شدة الإنسان واتصال عنايته في ذلك، ثم استمرار هذا الضعف على تراخي الزمن وتقدمه.

3- وإعجاز القرآن: معناه: إظهار صدق النبي صلى الله عليه وسلم في دعوى الرسالة بإظهار عجز العرب عن معارضته في معجزته الخالدة- وهي القرآن- وعجز الأجيال بعدهم عن ذلك.(مصطفى ديب، 1989، ص/151).

4- مظاهر الإعجاز القرآني: إن أوجه إعجاز القرآن عديدة فمنهم من قال بإعجازه من جهة إيجازه، أو جهة حسن تركيبه وبديع ترتيب ألفاظه وعذوبه مساقها وجزالتها وفخامتها، أو جهة غرابة أسلوبه العجيب واتساقه الغريب الذي خرج عن أعاريض النظم وقوانين النثر وأساجيع الخطب وأنماط الأراجيز ومنهم من قال باعجازه بما احتواه من العلوم التي لم يسبق إلها أحد من البشر، أو إعجازه بحفظ آياته من التبديل وصون كلماته من التحريف والتحويل (ابن القيم، 1987 ص/336-342).

إذن أبرز الوجوه رغم الاختلاف القائم بين العلماء في تحديدها هي :
البياني، التشريعي، العلمي، الغيبي، والوجه الذي أشرت إليه هو البياني الذي يتمثل في فصاحة القرآن وبلاغته فهو يؤدي المعني بلفظ عربي مستعمل خال من التعقيد والتنافر والغرابة، فيصل إلى قلب المخاطب بعبارة سهلة موجزة، مراعيًا في ذلك مقتضى حال السامع بحيث يؤثر في نفسه، ويبلغ منها ما يريد القائل.

وجزالة النظم وتناسقه الذي يقصد به طريقة تأليف حروفه، وكلماته، وجمله، وسبكها مع أخواتها في قالب محكم، وأيضا أسلوبه الفريد الذي يقصد به طريقته التي انفرد بها في تأليف كلامه واختيار ألفاظه (مصطفى مسلم، 2005، ص/117-149)

وتمكن أهمية هذا الوجه الإعجازي في أنه ينظم القرآن كله، على اختلاف سورته قصرا وطولا. (فضل حسن عباس، إعجاز القرآن، ص161).

2.2 المطلب الثاني: حقيقة الاستفهام في البلاغة العربية

أولاً: تعريف الاستفهام لغة واصطلاحاً

1- الاستفهام لغة: مشتق من الفعل "فهم" وهو معرفتك الشيء بالقلب، وفهمت الشيء: عقلته وعرفته، وفهمت فلاناً وأفهمته، وتفهم الكلام: فهمه شيئاً بعد شيء، ورجل فهم: سريع الفهم، وأفهمه الأمر وفهمه إياه: جعله يفهمه، واستفهمه: سألته أن يفهمه. (ابن منظور، 1414، 459/12).

2- الاستفهام اصطلاحاً: هو: "طلب الإفهام والإغلام لتحصيل فائدة عملية مجهولة لدى المستفهم"، وقد يُراد بالاستفهام غير هذا المعنى الأصلي له، ويُستدل على المعنى المراد بالقرائن القولية أو الحالية". (الميداني، 1996، ص 258).

ثانياً: أدوات الاستفهام وحروفه

للاستفهام طائفة من الأدوات، وهي تقع في ثلاثة أقسام: فالقسم الأول: ما يُستفهم به عن التصوُّر والتصديق، وهو "همزة الاستفهام" فقط، مثل: {قُلْ أَأَنْتُمْ أَعْلَمُ أَمْ اللَّهُ} [البقرة: 140]، و {أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَى} [الضحى: 6]، والثاني: ما يُستفهم به عن التصديق فقط وهو لفظ "هل"، مثل: {هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَى} [الآية: 15]، وهما حرفان لا يكون لهما محلٌّ من الإعراب في الجملة.

والثالث: ما يُستفهم به عن التَّصوُّر فقط، وهي سائر أدوات الاستفهام، وهذه جميعها أسماء، وهي: "مَا - مَنْ - مَتَى - أَيَّانَ - كَيْفَ - أَيْنَ - أَنَّى - كَمْ - أَيُّ"، وأمثلتهم على التوالي: {قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ} [الشعراء: 23]، {وَمَنْ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ} [آل عمران: 135]، {مَتَى نَصْرُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ} [البقرة: 214]، {يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا} [الأعراف: 187]، {وَانْظُرْ إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ نُنْشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا} [البقرة: 259]، {يَقُولُ الْإِنْسَانُ يَوْمَئِذٍ أَأَيْنَ الْمَفْرُ} [القيامة: 10]، {قَالَ يَا مَرْيَمُ أَنَّى لَكَ هَذَا} [آل

عمران: 37]، {سَلْ بَنِي إِسْرَائِيلَ كَمْ آتَيْنَاهُم مِّنْ آيَةٍ بَيِّنَةٍ} [البقرة: 211]،
{فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ} [الرحمان: 13].

والتصوّر: هو إدراك المفرد، ويُطلَبُ بالاستفهام عن التصوّر إدراك المسند إليه، أو إدراك المسند، لتعيينه، ويكون الجواب بتعيين المسؤول عنه، مُسنداً كان أو مُسنداً إليه. مثل: أَضْرَبَ خَالِدٌ أَمْ أَكَل؟ والجواب: ضرب - أو - أكل، والتصديق: هو إدراك النسبة الحكميّة بين المسند والمُسند إليه، موجبةً كانت أو سالبة، مثل: هل بُعِثَ خَاتَمُ المرسلين؟ والجواب: نعم، بُعِثَ. (الميداني، 1996، ص/258-269).

3. المبحث الثاني: بلاغة الاستفهام في الدعاء القرآني

1.3 استفهام النبي إبراهيم عليه السلام بالاسم كيف في سورة البقرة

قوله تعالى: [وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى] (260).

أ-دراسة الشاهد وتحليله: الاستفهام هنا في قوله "كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى" جاء بعد قصة الكافر الذي أصر على كفره، والباحث عن اليقين الذي يسر الله له طريق الهداية، فسيدنا إبراهيم لم يكن شاكاً في قدرة الله على إحياء الموتى، بل هو أراد السؤال عن الحال والكيفية: "فالاستفهام بكيف إنما هو سؤال عن حال شيء متقرر الوجود عند السائل والمسؤول...أي بصّرني كيفية إحيائك للموتى وإنما سأله عليه السلام ليتأكد إيقانه بالعيان ويزداد قلبه اطمئناناً على اطمئنانه" (أبو السعود، د.ت، 256/1)، وقد ذهب الأكثرون إلى أن الاستفهام للتقرير، ولكنه غير كاف وحده في المراد من الاستفهام المجازي هنا، فكان الأولى أن يجعلوا هذا التقرير مطية للتعجيب من حال سيدنا إبراهيم، والذي نراه أن الاستفهام للتقرير والتنبيه ولدفع توهم غير مراد وهو شك إبراهيم عليه السلام، فلو لم يذكر الاستفهام لما أجاب بما أجاب من نفي الريب، ولكن توهم الاتهام قائماً. (المطعني، 2011، 149/1).

ب-أسرار النظم في الجملة الدعائية:

حذف يا في النداء "رب" إشارة لقرب الله تعالى من العبد، وتعظيمه استشعاراً لمكانته، وحذف ياء الإضافة إيجازاً وتخفيفاً لكثرة دوارنه على الألسن.

دقة انتقاء كلمة الطير أنموذجاً للتعريف بقدرة الله على الإحياء والإماتة، فاختياره يتناسب مع طلب سيدنا إبراهيم برؤية قدرة الله على إحياء الموتى، فالطير متصف بالحيوية والحركة، وغالبا ماتراه ساكنا، فتخصيصه لقدرة على الطيران في السماء التي تجعل جمعه، والسيطرة عليه معجزة تثبت عظمة تلك القدرة.

عبر بالاسم الظاهر بدل الضمير العائد عليه فلم يقل: "واعلم أي" لتعزيز دلالة التعظيم لله سبحانه وتعالى، لأن الموقف موقف إظهار لعظمة الله تعالى.

جاءت الفاصلة "عزيز حكيم" متناسبة مع السياق معززة لدلالة النص، فمن نتاج العزة والحكمة استجابة الله الدعاء، مع وجود اليقين في إيمان إبراهيم (سالم عبود/ المطعني، 2011/2012، ص/380، 201، 149/118).

2.3 استفهام النبي زكريا عليه السلام بالاسم أتى في سورة آل عمران ومريم قوله تعالى: [قَالَ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَقَدْ بَلَغَنِيَ الْكِبَرُ وَامْرَأَتِي عَاقِرٌ قَالَ كَذَلِكَ اللَّهُ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ] (40) و [قَالَ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا وَقَدْ بَلَغْتُ مِنَ الْكِبَرِ عِتِيًّا] (8)

أ-دراسة الشاهد وتحليله: الاستفهام هنا سؤال عن كينونة الغلام له مع انتفاء أسباب الإنجاب مع اليقين بصدق البشارة فهو استفهام حقيقي مشوب بالتعجب من طلاقة قدرة الله، والتعجب مكنى به عن الشكر، فهو اعتراف بأنها عطية عزيزة غير مألوفة (المطعني/ابن عاشور، 2011/1984، 70/16/162/1) ؛ قال ابن عجيبة: " قاله استعظاما أو تعجبا أو استفهاما عن

كيفية حدوثه. هل مع كبر السن والعقم، أو مع زوالهما"ابن عجيبة، 1419، (350/1).

ب-أسرار النظم في الجملة الدعائية:

في التعبير ببلغني وهو جملة فعلية للدلالة على أن الكبر طراً عليه بعد قوة وفتوة، وجاء إسناده إلى الكبر عن طريق القلب.

في التعبير بالجملة الاسمية "وامرأتي عاقر" للدلالة على أن عقر المرأة صاحبها من البلوغ صاحبها من البلوغ إلى الكبر ولم يكن قدر طراً عليها. كذلك الله يفعل مايشاء صورة تشبيهية المشبه به اسم الإشارة كذلك والمشبّه هو فعل الله تعالى، والتقدير مثل ذلك الفعل والغرض منه الإشعار بفخامة المشار إليه بأنه معجزة.

في تنكير غلام لأن الاستبعاد مسلط على إنجاب جنس الغلام لا على شخص بعينه، كما أن تقديم الجار والمجرور "لي" على غلام لأن "لي" من بواعث الاستبعاد لأن المستبعد أن يكون له غلام لا لغيره ممن هم صالحون للإنجاب.

عطف جملة "وَقَدْ بَلَغْتُ مِنَ الْكِبَرِ عِتِيًّا" على جملة "وَكَاثَتْ امْرَأَتِي عَاقِرًا" لأنهما خبريتان لفظاً ومعنى فبينهما التوسط بين الكمالين. (المطعني/الزهراني، 1425/2011، 1/163/269/327).

3.3 استفهام السيدة مريم عليها السلام بالاسم أنى في سورة آل عمران ومريم قوله تعالى: [قَالَتْ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَمَسِّنِي بَشَرٌ قَالَ كَذَلِكَ اللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ إِذَا قَضَى أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ](47) و[قَالَتْ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَلَمْ يَمَسِّنِي بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا](20)

أ-دراسة الشاهد وتحليله: هذا الاستفهام الصادر من مريم عليها السلام لاستبعاد الإنجاب من طرف واحد وهو الأم، ثم التعجب من أن يكون هذا كائننا(المطعني/الزهراني، 1425/2011، 1/164/331)، قال أبو السعود في

غرض الاستفهام أنه: " على وجه الاستبعاد العادي والتعجب واستعظام قدرة الله عز وجل". (أبو السعود، د.ت، 37/2).

ب- أسرار النظم في الجملة الدعائية:

"ولم يمسنني بشر" إما كناية عن الزواج أو استعارة تبعية شبه فيها النكاح بالمس لملاقات جسم لآخر، والسبب في العدول عن اللفظة لحيائها. كان الرد بالإطناب في قوله: " كَذَلِكَ اللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ إِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ" للمكافأة بين شدة إنكارها وما بنته عليه من أسباب، وبين الجواب المزيل لذلك الإنكار.

تقديم الجار والمجرور "لي" على غلام للسبب نفسه في كلام النبي زكريا للاستبعاد غير المطلق لعدم توفر أسباب الإنجاب.

"لم أك بغيا" كناية عن الزنا وعطفت الجملة على جملة "لم يمسنني" لأنهما خبريتان لفظا ومعنى فبينهما التوسط بين الكمالين. (المطعني، 2011، 1/ 271/2/164).

4.3 استفهام النبي آدم عليه السلام باسم الاستفهام لِمَ في سورة طه

قوله تعالى: [قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنْتُ بَصِيرًا] (125)

أ-دراسة الشاهد وتحليله: الاستفهام هنا مجازي لا حقيقي غرضه الإنكار لأن المستفهم يرى أنه ليس له ذنب يستحق به هذا العى (المطعني، 2011، 332/2)، وهذا مذهب إليه الألوسي في قوله: " والظاهر أن هذا سؤال عن السبب الذي استحق به الحشر أعمى لأنه جهل أو ظن أن لا ذنب له يستحق به ذلك" (الألوسي، 1415، 586/8)، وذهب الهرري إلى أنه استفهام استخبار ي(الهرري، 2001، 459/17).

ب- أسرار النظم في الجملة الدعائية:

عدل من المضارع في قوله "حشرتني" إلى الماضي وذلك لأن وضع الماضي موضع المستقبل دلالة على قرب الوقوع وعلى تأكده؛ كقوله تعالى: [أَتَى أَمْرُ اللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ]، والطباق الإيجاب بين أعى وبصير.(المطعني، 2011، 333/2).

5.3 استفهام الكافرين بأداة الاستفهام هل في سورة غافر

قوله تعالى: [قَالُوا رَبَّنَا أَمَتَّنَا اثْنَتَيْنِ وَأَخْيَيْنَنَا اثْنَتَيْنِ فَاعْتَرَفْنَا بِذُنُوبِنَا فَهَلْ إِلَى خُرُوجٍ مِنْ سَبِيلٍ] (11)

أ-دراسة الشاهد وتحليله: نرى أن الاستفهام "هل" غرضه التمني؛ يطلب بها حصول ما لا طماعيةً في وقوعه، فاستعمالها مجاز بالاستعارة التبعية لإبراز المتمني في صورة الممكن؛ إظهاراً لشدة الرغبة فيه.

ففي الآية (هل) يجوز أن تكون مستعملة في التمني وهو معنى مجازي ناشيء من معنى الاستفهام الذي هو معنى (هل) الأصلي، فالاستفهام بحرف هل مستعمل في الاستعطاف، وحرف من زائد لتوكيد العموم الذي في النكرة ليفيد تطلّهم كل سبيل للخروج، وتنكير خروج وسبيل للنوعية لتلطفاً في السؤال، أي: خروج قليل أو كثير ينتفعون به راحة من العذاب، وهذا الكلام يصدر ممن غلب عليه اليأس والقنوط، لأنهم يستبعدون حصول الخروج.(ابن عاشور/اسماعيل، 1984، 2006/ 99/24، ص204).

ب-أسرار النظم في الجملة الدعائية:

جاء في قوله: رَبَّنَا أَمَتَّنَا اثْنَتَيْنِ وَأَخْيَيْنَنَا اثْنَتَيْنِ، والمعنى المراد بالميتتين خلقهم أمواتا ثم فنأهم عند انقضاء الأجل، وبالإحياء مرتين الخلق والبعث، ففي تسمية خلقهم أمواتا إماتة من باب المجاز المرسل علاقته زمانية باعتبار ماكان عليه في الأصل(محي الدين درويش، 1415، 465/8).

جاء في قوله: رَبَّنَا أَمَتْنَا اثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا اثْنَتَيْنِ، تقابل بين صفتي الإحياء والإماتة فقد تعمقت المقابلة بينهما بتعميق دلالة اليقين لدى الداعين بعد إماتتهم موتتين يقابلها إحيائين تملك اليقين في قلوبهم ونفوسهم بعد هذه المراحل الأربعة الموتة الأولى وهو في أصلا بآبائهم والحياة الأولى بالخلق في الدنيا ثم الموتة الثانية بانقضاء الأجل والحياة الثانية بالبعث يوم القيامة فقد شاهدوه وعينوه فأسهم السياق في إبراز دلالة وضوح الندم بمجئ طلبهم بصيغة الاستفهام الموحى بضرورة الخلاص. (سالم عبود، 1415/2012، ص 70/4/169).

6.3 استفهام المنافقين باسم الاستفهام أنى في سورة المنافقون

قوله تعالى: [قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ] (4)

أ-دراسة الشاهد وتحليله: الاستفهام في الآية إنكاري ينكر الله عليهم فيه الحال التي ينصرفون إليها وهم معرضون عن الحق أما التعجب الذي نص عليه الأئمة فهو معنى ثان مردوف على المعنى الأصلي الإنكار. (المطعني، 2011، 259/4)

قال ابن عاشور في هذا المقام: " وأنى هنا اسم استفهام عن المكان. وأصل أنى ظرف مكان وكثر تضمينه معنى الاستفهام في استعمالاته، وقد يكون للمكان المجازي فيفسر بمعنى (كيف) كقوله تعالى: [قُلْتُمْ أَنَّى هَذَا] [آل عمران: 165]، وفي قوله: [أَنَّى لَهُمُ الذِّكْرَى] [الدخان: 13] . ومنه قوله هنا أنى يؤفكون، والاستفهام هنا مستعمل في التعجب على وجه المجاز المرسل لأن الأمر العجيب من شأنه أن يستفهم عن حال حصوله، فالاستفهام عنه من لوازم أعجوبته. فجملة أنى يؤفكون بيان للتعجب الإجمالي المفاد بجملة قاتلهم الله". (ابن عاشور، 1984، 242/28).

ب-أسرار النظم في الجملة الدعائية:

جماليات الخطاب في الدعاء القرآني -دراسة بلاغية في أسلوب الاستفهام-

"قاتلهم الله" جملة خبرية وضعت موضع الإنشاء لأنها "جملة أصلها دعاء بالإهلاك والاستئصال ولكنها غلب استعمالها في التعجب من سوء الحال الذي جره صاحبه لنفسه من فعل أو قول مكروه مثل قولهم: ثكلته أمه، وويل أمه. وتربت يمينه. واستعمال ذلك في التعجب مجاز مرسل للملازمة بين بلوغ الحال في السوء وبين الدعاء على صاحبه بالهلاك، إذ لا نفع له ولا للناس في بقائه، ثم الملازمة بين الدعاء بالهلاك وبين التعجب من سوء الحال. فهي ملازمة بمرتبتي كناية رمزية." (ابن عاشور، 1984، 242/28).

كما أن في العبارة عدول من الإضمار إلى الإظهار لأن الأصل أن يقال "قاتلهم لأن الله هو المتكلم" والسرف في ذلك تهويل قتال الله لهم وتربية المهابة في النفوس. (المطعني، 2011، 260/4).

4. خاتمة

تمّ بحمد الله وحُسن عونه هذا البحث؛ الذي تمحور موضوعه حول "جماليات الخطاب في الدعاء القرآني دراسة بلاغية في أسلوب الاستفهام"؛ الذي توصلنا من خلال دراسته إلى النتائج التالية:

أ-الخطاب القرآني هو كلام رباني متعبد بتلاوته معجز في مبانيه ومعانيه مصون من التحريف صالح لكل زمان ومكان.

ب-جمالية الخطاب القرآني تتلخص في أثره البالغ على النفس من حيث التأثير الوجداني والإقناع العقلي من خلال تصوير مشهد فني دقيق متناسق متنوع الأنماط مختلف الأغراض متعدد الحكم والفوائد.

ج-الإعجاز القرآني يشمل البياني والتشريعي والعلمي والغيبي، والأول هو أهم الوجوه لأنه ينظم القرآن كله على اختلاف سورته قصرا وطولا.

د-إن الاستفهام أصله طلب الإفهام والإعلام لتحصيل فائدة مجهولة لدى السائل بحروف وأدوات خاصة .

هـ-قد يخرج الاستفهام عن معناه الأصلي إذا تطلب المقام ذلك لمقاصد وأغراض مختلفة بحسب السياق والمقام الحالي.

و-الاستفهام في الأدعية القرآنية كان في أغلبه استفهام حقيقي غرضه التعجب من قدرة الله واستبعاد الأمر واستعظام حدوثه.

ح-الاستفهام المجازي الوارد في الأدعية القرآنية غالبا ما يكون غرضه الإنكار وورد من طرف الأنبياء والمنافقين.

ك-خروج الاستفهام إلى مقصد التمني في الأدعية القرآنية يكون في أغلبه من طرف الكافرين ويأتي على سبيل الاستعارة التبعية ، وذلك لاستحالته لغرض بعث الحسرة والحزن واللوم في النفس ببعد حصول المحبوب وعدم تحققه.

جماليات الخطاب في الدعاء القرآني -دراسة بلاغية في أسلوب الاستفهام-

ل-من إعجاز الأسلوب الدعائي القرآني تضافر الخصائص النظامية من دقائق تعبيرية وجماليات تركيبية وبديعيات لفظية مع أسلوب الاستفهام لتأكيد المعنى وتقديره في النفس وترسيخه في الذهن فيتطبع به الداعي قلبا وقالبا.

فنوصي الباحثين بمزيد الدراسة والغوص في جماليات البلاغة القرآنية وبخاصة الدعاء وفنائه البيانية وبناءاته الإيقاعية وخصائصه التصويرية .

5. قائمة المراجع:

- الكتب: ابن فارس، أحمد. 1979. *مقاييس اللغة*. د.ط. دار الفكر.
- Ibn faris, makayis alogha
- الميداني. 1996. *البلاغة العربية*، ط 1. دمشق/ بيروت: دار القلم/ الدار الشامية.
- Almydani, al bagha-al arabiya
- ابن منظور. 1414. *لسان العرب*، ط 3. بيروت: دار صادر
- Ibn mandor, lisan al arab
- ابن عاشور، محمد الطاهر. 1984. *التحرير والتنوير*، د.ط. تونس: الدار التونسية
- Ibnachour, a-tahrir wa tanwir
- الهرري. 2001، *تفسير حقائق الروح والريحان*، ط 1. بيروت: دار طوق النجاة
- Al harari, tfsir hadaik aroh wa rayhan
- أبو السعود. د.ط. *إرشاد العقل السليم*، د.ط. بيروت: دار إحياء التراث العربي
- Abou saoud, irchad al akl asalim
- الألوسي. 1415. *روح المعاني*، ط 1. بيروت: دار الكتب العلمية
- Alosi, roh al al maani
- محي الدين درويش. 1415. *إعراب القرآن وبيانه*. ط 4. بيروت: دار ابن كثير
- Mahyidin darwich, iaarab al quran wa bayanoh
- حسن بن اسماعيل. 2006. *البلاغة الصافية*. مصر: المكتبة الأزهرية للتراث
- Hasan ismaail, al balagha asafiya
- ابن عجيبة. 1419. *البحر المديد*. د.ط. القاهرة.
- Ibn ajiba, al bahr al madid
- المطعني. 2011. *التفسير البلاغي للاستفهام في القرآن*. ط 3. القاهرة: مكتبة وهبة.
- Al mothaaini, atafsir al balaghi
- ابن القيم. 1987. *الفوائد المشوقة إلى علوم القرآن*. بيروت: دار الهلال
- Ibn ackayim, al fawaid al mou chawika

جماليات الخطاب في الدعاء القرآني - دراسة بلاغية في أسلوب الاستفهام-

المقال: الزهراني. 1425. بلاغة الدعاء في سورة آل عمران. مجلة جامعة الإمام.
(ع46)

azahrani, balaghat aduaa fi surat il imran

الرسائل: سالم عبود. 2012. آيات الدعاء في القرآن - دراسة أسلوبية - دكتوراه.
جامعة أم درمان، السودان

Aboud, ayat aduaa fi al quran dirasa oslobiya

محمد بوهند. 2017. جماليات الخطاب القرآني وإعجازه البياني دراسة بلاغية في
أسماء الله الحسنى. دكتوراه. جامعة أبي بكر بلقايد. تلمسان.

Mohemd bouhind, jamalyat al khitab al qurani